1

الفصل الأول

الوثائق التاريخية

المبحث الأول: أهمية الوثائق

المبحث الثاني: الفرق بين النص والوثيقة

المبحث الثالث: مواد الوثائق

المبحث الرابع: أنواع النصوص والوثائق

المبحث الأول: أهمية الوثائق

تعد الوثائق أساساً مهما في بناء الحقائق كونها تمثل الأصول الدقيقة التي يجد الباحث بين سطورها ما يكمل الحلقات التاريخية المفقودة، ولهذا فأن الدراسات التاريخية تعتمد اعتماداً كبيراً على الوثائق كونها من المصادر الأصلية والأساسية لكل مؤرخ وباحث يريد إضافة مادة جديدة للتاريخ أو الحصول على حقائق لم تكن معروفة سابقاً، فقد توضح الوثائق حياة الناس الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية. والمعلومات التي توفرها لنا الوثائق تعد مادة غنية تحتم على الباحث الاعتماد عليها في الأبحاث العلمية الجديدة.

والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعلهم، والقليل جدا من هذه الأفعال والأفكار هو الذي يترك آثاراً محسوسة، وان وجدت فنادراً ما تبقى، لان عارضا بسيطا قد يكفي لزوالها، وكل فكرة أو فعل لا يخلف أثراً مباشراً أو غير مباشر، أو طمست معالمه، هو أمر ضاع على التاريخ، وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الإنسانية مجهولا أبدا، إذ لا بديل عن الوثائق، وحيث لا وثائق لا تاريخ[1].

وان البحث عن الوثائق من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ، وان كشف كمية من الوثائق الهامة عن موضوع معين، هو الذي يحدد إمكانية الاستمرار في البحث أو العدول عنه إلى موضوع آخر، والباحث الذي يكتب التاريخ دون ان يحصل على مجموعة من الوثائق الأساسية الجديدة، أو التي لم يكن قد سبق استخدامها استخداماً علمياً مكتملاً، تنقص قيمة بحثه العلمية أو تتضاءل أو تنعدم، مهما بذل من جهود[2].

إن الوثيقة التي تشكل مصدراً أصلياً للمعلومات، تعد في معظم الحالات، السجل المكتوب لما رآه كاتبه أو سمعه فعلاً أو لتعبيره المباشر عن أفكاره، وتكون الرواية مصدراً أصلياً لو ان من دونها شاهد الحادثة التي يصفها، كما ان المواد التي يقتبسها مؤلف من مؤلف آخر، لا يمكن اعتبارها على الإطلاق مصدراً أصلياً، وعليه الرجوع إلى المادة المقتبسة الأصلية [3]، كما تعد الوثائق المكتوبة التي دوّن فيها السلف خوالج نفوسهم أو ضروب معاملاتهم، أو التي سجلوا فيها أحداث زمانهم أو أخبار الماضي، من أهم الآثار وبصفة اخص المؤلفات التاريخية

التي سجل فيها السلف الأحداث المعاصرة أو السابقة[4]، ولقد أصبح التوثيق علماً حقيقياً بكل تقنياته ووسائله الخاصة والتي تميل إلى التعقد شيئاً فشيئاً، لاسيما وان المعلومات تملك في ذاتها قيمة لا تقدر بثمن، وبدونها لا يمكن ان يكون هناك تقدم [5] .

ويعد المنهج الوثائقي ذات أهمية كبيرة لأنه يمثل أقدم مناهج البحث، وهو كمنهج يتطلب تحديد مشكلة البحث وتجميع الحقائق والمعلومات المتعلقة بتلك المشكلة وتحديد مصادر هذه الحائق الأولية والثانوية، ثم تصنيف هذه الحقائق وتحليلها وإيجاد العلاقة فيما بينها ثم عرض النتائج وتفسيرها، وان المنهج الوثائقي هو طريقة لاختبار الفرض، بتحديد وتحليل البيانات والمعلومات من الوثائق والمسجلات ذات الأشكال المتعددة، وهذه الأشكال تتراوح ما بين الآثار المكتوبة أو المطبوعة إلى التعليقات الشخصية المكتوبة والشفوية بالإضافة إلى الآثار والبقايا الاركيولوجية والجيولوجية، وطريقة البحث الوثائقي مستحدثة في مختلف المجالات العلمية، ولكنها مستخدمة بكثرة في التاريخ واللغات والآداب والفلسفة وغيرها من المجالات المتعلقة، ويجب على الباحث – بعد أن يحدد الوثيقة – أن يقيمها خارجيا وداخليا للتأكد من أصالتها ومن علاقتها بموضوع الدراسة، ومن ناحية قبولها كدليل[6].

ومن الأمور المتفق عليها ان الباحث لا ينبغي أبدا أن يستخدم نسخة من إحدى الوثائق إذا كان باستطاعته أن يرى الأصل، على الرغم من أن صورة الوثيقة تكفي أحياناً كبديل للأصل، إلا أن الباحث ينبغي أن يكون حريصاً على الاطلاع على الوثيقة الأصلية، ويزداد هذا الحرص إذا كانت الوثيقة منشورة، لأنه قد تدخل بعض الأخطاء على الوثيقة فتغير من معالمها الأصلية والغرض منها [7].

المبحث الثاني: الفرق بين النص والوثيقة

لقد أصبحت دراسة التاريخ اليوم تشمل الطرق العلمية المتطورة التي تعتمد على النقد والتحليل والتمييز والتفسير والاجتهاد من خلال الوثائق التاريخية، خاصةً وان التاريخ علم كباقي العلوم يبحث وراء الحقيقة التاريخية ويعمل من اجل الوصول اليها حيث انه لم يعد يقتصر على المصادر الأدبية الروائية للاطلاع والسرد والمتعة.

وتعد الوثائق من المصادر الأصلية الأساسية لدراسة التاريخ والحضارة العربية، فهي تفتح لنا أبواب جديدة متعددة للدراسة كونها تمثل منبعاً مادياً يرد فيه الكثير مما أهمله بعض المؤرخين من أحداث التاريخ.